عالم الكتب

المجلد الثامن والثلاثون - العددان : الثالث والرابع المحرم - ربيع الآخر ١٤٣٨هـ/ يناير - أبريل ٢٠١٧م

- رأس المال الثقافي
- ارتباط قضيّة اللفظ والمعنى بنظرية النَّظم عند عبدالقاهر الجرجاني
- توظيف التعلم التعاوني في تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية في جامعة الملك عبدالعزيز
- التخطيط لتصميم وبناء مكتبة إلكترونية بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن: دراسة نظرية
- ديوان العرب لـ: عايض القرني
- إتحاف النبيه بمن ألّف كتاباً في سيرة أبيه
- عرض رسالة ماجستير بعنوان: تبني مفاهيم وعمليات إدارة المعرفة بالكليات العسكرية السعودية: دراسة حالة لأعضاء هيئة التدريس بكلية الملك خالد العسكرية بالرياض

عالم الكتب

Vol.38 No.3-4 Jan - April. 2017 المحرم - ربيع الآخر ١٤٣٨هـ/ يناير - أبريل ٢٠١٧م المجلد الثامن والثلاثون - العددان: الثالث والرابع

مجلة فصلية محكَّمة متخصصة في الكتاب وقضاياه
صدر العدد الأول منها في رجب ١٤٠٠هـ/ مايو ١٩٨٠م

تصدر المجلة بدعم وتعضيد من:
مكتبة الملك عبد العزيز العامة بالرياض

المؤسسان
عبد العزيز الرفاعي
(١٣٤٢ - ١٤١٤هـ/ ١٩٢٣ - ١٩٩٣م)
عبد الرحمن المعمر

رئيس التحرير
يحيى محمود بن جنيد

الهيئة الاستشارية للتحرير
أبو عبدالرحمن ابن عقيل الظاهري
عبدالعزيز بن ناصر المانع
عباس صالح طاشكندي
عبد الستار عبد الحق الحلوجي
قاسم أحمد السامرائي
جاسر خليل أبو صفية

السكرتير الإداري
مصطفى علي مصطفى

الناشر:
وكالة دار ثقيف للنشر والتوزيع

شركة مطابع نجد التجارية
٤٤٨٨٠٢٤

المحتويات

الدراسات

- رأس المال الثقافي .... عبد الرحمن بن عبد الله الشقير ١٧٣-١٩٢
- ارتباط قضيّة اللفظ والمعنى بنظرية النَّظم عند عبدالقاهر الجرجاني .... عبد العزيز بن سعود البديع ١٩٣-٢١٦
- توظيف التعلم التعاوني في تعليم اللغة العربية بوصفها لغة ثانية في جامعة الملك عبدالعزيز .... راوية جاموس، وابتهال محمد علي البار ٢١٧-٢٣٤
- التخطيط لتصميم وبناء مكتبة إلكترونية بجامعة الأميرة نورة بنت عبد الرحمن: دراسة نظرية .... ولاء حمدان، لمياء الدعيجي، عفاف نديم، ودعاء عبد الجابر ٢٣٥-٢٨٨

المراجعات

- ديوان العرب لـ: عايض القرني .... مراجعة ونقد: سلطان بن سعد السلطان ٢٨٩-٣٠٨

الببليوجرافيات

- إتحاف النبيه بمن ألّف كتاباً في سيرة أبيه .... فهد بن تركي العصيمي ٣٠٩-٣٣٠

الرسائل الجامعية

- عرض رسالة ماجستير بعنوان: تبني مفاهيم وعمليات إدارة المعرفة بالكليات العسكرية السعودية: دراسة حالة لأعضاء هيئة التدريس بكلية الملك خالد العسكرية بالرياض .... محمد عبدالحق محمد مصبح ٣٣١-٣٣٥

رأس المال الثقافي

عبد الرحمن بن عبد الله الشقير

التمهيد:

تسعى هذه الدراسة إلى تقديم نظرية رأس المال الثقافي بأقرب ما تكون إلى التصور الذي أراده مؤسسها عالم الاجتماع الفرنسي بيير بورديو، مع الأخذ في الحسبان مفهومي الهابيتوس ورأس المال الرمزي اللذين يعدان من أكثر المفاهيم التصاقًا برأس المال الثقافي؛ ومن المهم الإشارة إلى الجدل الدائر بين المعنيين بسوسيولوجيا بورديو حول تحديد المفاهيم التي يقصدها بورديو؛ ما أدى إلى تناقض في الطرح وعدم الاتفاق الدقيق على تأسيس أدبياته، وهذا ينطبق بشكل أكثر على حالة تلقي بورديو العربية؛ نظرًا لقلة ما كتب عنه، كما أن نظرياته ومفاهيمه تعرضت للتطوير والتعديل من قبل بورديو خلال سنوات دراساته، ووردت تعديلاته أحيانًا في كتاب أو مقالة ينشرها بمجلة بورديو أو مقابلة صحفية، وهذا، بحسب رأيي يزيد من أسباب اللبس بين الباحثين العرب عند تلقي بورديو. كما أن بورديو استعمل بكثرة مصطلحات ومفاهيم وجعل لها معاني تختلف عن معاني قواميس علم الاجتماع، وهذا ما صعّب مهمة كتابة نظرية عميقة بأسلوب مبسط وواضح وموثق.

ويمكن تحديد أهمية نظرية رأس المال الثقافي من ناحيتين، فهي من الناحية الفلسفية والاجتماعية تقع في سياق المواءمة بين النزعة "الموضوعية" والنزعة "الذاتية"، وتسمى أيضًا "البنية" و"الفعل" في علم الاجتماع، وهي إحدى أهم مشكلات علم الاجتماع المعاصر. فالنزعة الموضوعية ترى أن المجتمع هو الذي يصنع الفرد ويؤثر فيه، والنزعة الذاتية ترى أن الفرد هو الذي يصنع المجتمع ويؤثر فيه (غدنز، ٢٠٠٥م: ٧٠٢)، ويمكن القول بأن محور نظريات بورديو وأساس علم اجتماع بورديو يكمن في محاولة الدمج بين الاتجاه الموضوعي ويمثله المفكرون الماركسيون والدوركايميون،

والاتجاه الذاتي ويمثله مفكرو نظرية الفعل (إنغلزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٤٠)، وهم الفيبريون، أتباع مدرسة ماكس فيبر، وأتباع التفاعلية الرمزية وما انبثق منها من نظريات. وتشمل البنى الموضوعية والظروف الاقتصادية والاجتماعية والسياسية والثقافية، وهي تعد الأسس التي تعمل على إعادة إنتاج وتوزيع رأس المال الاقتصادي والثقافي، وتشمل البنى الذاتية مجموعة من الاستعدادات والتصورات والمعتقدات وصور الإدراك والتقدير (سالم، ١٩٩٩م: ١١٩). وتوصل بورديو بعد دراسات ميدانية ونظرية معمقة إلى أن التفاعل الاجتماعي متبادل، فالمجتمع والفرد كلاهما يؤثر ويتأثر، وأثبت ذلك بكشفه عن القوانين التي تحكم ديناميكية هذه العملية التبادلية المتمثلة في "نظرية الممارسة" وما اتصل بها من مفاهيم.

والناحية الثانية عملية، إذ تقع نظرية رأس المال الثقافي في سياق التفكير في تنمية الذات وتطويرها والاستثمار فيها وحسن إدارة الفرد لثقافته ولشهاداته وللغته وجسده ومهاراته من خلال امتلاك الثقافة التي تعني أسلوب حياة وقواعد السلوك وآدابه بوصفها "رأس مال رمزي"، كما يمتلك رأس المال الاقتصادي، وهذا يعني، وفق بورديو، إدراك الفرد بوجود "حقل" أو ميدان يحتاج أن يمارس فيه نجاحه، ونظرًا لأن الحقول في المجتمع كالحقل العلمي والطبي والزراعي ونحو ذلك تتمتع بالديمقراطية والحراك الاجتماعي وتعطي الحق للجميع في الترقي في الحقل من خلال شروط شفافة، وتمنع استخدام العنف، فإن ذلك يعني أن التنافس في الحقل سيكون مثل التنافس في "اللعبة"، ما يتطلب "ممارسات اجتماعية" تقوم على "إستراتيجيات" خاصة، وتخضع لعملية تفكير معقد ومختلط بين استحضار التاريخ، وتقاليد المجتمع، وقوانين الحقل المتعارف عليها ضمنيًا، والمصلحة الخاصة، مع الالتزام بالأنظمة.

تحلل هذه الدراسة نظرية رأس المال الثقافي لبورديو من حيث: تعريفه، وأنواعه، وكيفية تشكيله لدى الأفراد، ثم علاقته بتحقيق المكانة الاجتماعية والاقتصادية، ثم عرض نتائج دراسات بورديو الميدانية بشأن الصراع بين طبقتي البرجوازية الاقتصادية والبرجوازية الثقافية ليدلل على قدرة رأس المال الثقافي على منافسة رأس المال الاقتصادي في مجال الصراع على السيطرة الثقافية كما هو حال الصراع على السيطرة الاقتصادية، وأخيرًا تحليل المصادر الفكرية التي استقى منها نظريته، وقد مهد الباحث لهذه الدراسة بالإشارة إلى فلسفة رأس المال الرمزي، الذي يحوي رأس المال الثقافي.

تميزت نظرية رأس المال الثقافي بدمج الثقافة المدرسية في النظام الاجتماعي، على عكس الدراسات التي اهتمت بالثقافة بوصفها تربية تجرى ضمن العملية التعليمية، أو الدراسات التي اهتمت بالثقافة بوصفها تنمية للآداب والمعارف والأذواق الإنسانية، ومن هنا حظيت النظرية بالتقدير في كل من علم اجتماع التربية والثقافة.

ومن المتوقع أن تقدم هذه الدراسة تصورًا عن أهمية إدماج الثقافة كنمط حياة في العملية التعليمية، فعندما تتحدث الأدبيات التربوية مثلًا أن التعليم الجامعي لا يزال يقدم لسوق العمل مخرجات تمتلك الشهادات والخبرة الأكاديمية، فإن ما تأمله منظومة الأفكار الإبداعية والمعرفة الثقافية من الجامعة، أن تسهم في

رفع الوعي الجمالي لدى الطالب، ومن ثم يكون لديه رأس مال ثقافي يمكنه من تفعيله في الحياة اليومية ليتحول إلى رأس مال اقتصادي، وهذا ما تفتقد إليه العملية التعليمية والتربوية.

أولًا: رأس المال الرمزي:

قسم بورديو الرساميل قسمين، هما: رأس المال المادي، وهو رأس المال المعروف في علم الاقتصاد، ورأس المال الرمزي، وهو الإضافة التي قدمها بورديو لعلم الاجتماع، ويشمل جميع الرساميل التي لها قيمة مضافة غير مادية، في كل أفعال الفرد والمؤسسات في الحياة اليومية، فإذا امتلك الفرد علاقات اجتماعية فاعلة مع عناصر مهمة في المجتمع ولها مردود في التنمية له أو لمنظمته أو لبلدته فيكون لديه رأس مال اجتماعي، وإذا كان يتمتع بمعرفة قواعد السلوك وآدابه ولديه شهادات دراسية رسمية فيكون لديه رأس مال ثقافي، وإذا كان متحدثًا جيدًا فيكون لديه رأس مال لغوي وهكذا. وبذلك يكون بورديو قد وسع علم اجتماع المعرفة من خلال دراساته عن رأس المال الرمزي وما يتفرع منه.

ركز بورديو دراساته على ثلاثة أنواع من الرساميل هي: رأس المال الرمزي، ورأس المال الاجتماعي، ورأس المال الثقافي؛ وهو يرى أن كل سمة أو مهارة ورثها الفرد أو تعلمها ويمارسها في حياته اليومية تمثل رأس مال يعيش به الفرد ويدافع عنه، مع اختلاف الناس في إدارة رساميلهم، وينتهي كل رأس مال ينميه الفرد بتحقيق أرباح أو خسائر رمزية غير مادية، تتمثل في الكرامة والسمعة والشرف ونحوها، وهذه الأرباح الرمزية يمنحها المجتمع للفرد الذي استثمرها استنادًا على ما يقدمه في الحياة اليومية، ويلحظ أن لكل استثمار سوقًا خاصة به، وعملاء تعرض عليهم السلع الاجتماعية والثقافية، وهم الذين يقيمونها ويحددون سعرها الرمزي، ولذلك يتبع الفرد إستراتيجيات معينة لضمان تحقيق المكانة الاجتماعية والاقتصادية، ويلحظ التفاوت في القضايا الاجتماعية ذات البعد الرمزي مثل السمعة والشرف والكرامة، فهي شديدة الحساسية في المجتمع العربي؛ لأنها مدعومة بتمثلات تاريخية منغرسة في عمق المجتمع.

يعرف بورديو رأس المال الرمزي بأنه "مثل أي ملكية مدركة من قبل فاعلين اجتماعيين تسمح لهم مقولات إدراكهم بمعرفتها والإقرار بها ومنحها قيمة، مثال: الشرف في مجتمعات البحر المتوسط هو صيغة نمطية من رأس المال الرمزي، لا توجد إلا عبر السمعة، أي التمثيل الذي يقوم به الآخرون في حالة اشتراكهم في مجموعة معتقدات خاصة تجعلهم يدركون ويقيمون خصائص معينة وأنواعًا من السلوك إذا كانت شريفة أو مخلة بالشرف" (بورديو، ١٩٩٨م: ١٣٦). ويرى أيضًا أن رأس المال الثقافي هو نوع من رأس المال الرمزي، إذ "ينبغي هنا إدخال كل ما يلامس الرمزي مثل رأس المال الرمزي والمصلحة الرمزية والربح الرمزي؛ إنني أدعو رأس مال رمزيًا كل نوع من أنواع رأس المال (الاقتصادي، الثقافي، التعليمي، الاجتماعي)، عندما يكون مدركًا طبق مقولات الإدراك ومبادئ الرؤية والانقسام" (بورديو، ١٩٩٨م: ١٨٧).

اهتم بورديو بنقد مبدأ أن رأس المال هو للاقتصاد فقط، وجادل على أن رأس المال يعمل في كل المجالات، وبرهن على نظريته بعرض رأس المال الثقافي بنفس

الطريقة التي يعمل بها رأس المال الاقتصادي، من حيث إن كليهما يتعرض للربح والخسارة والادخار والقيمة المضافة والقيمة التبادلية، وإن كليهما قابل للاستثمار، وإن كليهما يعملان في أسواق خاصة بهما بما فيها من مجالات تنافس وإستراتيجيات للوصول إلى موارد الهيمنة ونحوها، كما عرض رأس المال الاقتصادي بطريقة نقدية لمفهومه في نظرية كارل ماركس وبخاصة موارد الإنتاج والطبقة ورأس المال، وقد أجرى مقارنات بين رأس المال الثقافي ورأس المال الاقتصادي بوصفهما أداتين لتحقيق المكانة الاجتماعية في الحياة اليومية (بورديو، ١٤٢٥هـ: ٢٨).

إن رأس المال الثقافي يتراكم في الحياة اليومية مثلما تختزن النقود تمامًا، حيث يبدأ من مفهوم الممارسة، ومنها ينطلق إلى التراكم الثقافي (زايد، ٢٠١١م: ٤٥)، فرأس المال الثقافي يتكون من التعليم ومن الطريقة التي نمارس بها الثقافة.

اشتق بورديو أساس فكرة الرساميل التي صاغ مفاهيمها اجتماعيًا، من مفهوم رأس المال الاقتصادي والمفهومات المتعلقة به، وتقوم فكرته على أن هذه المفهومات الاقتصادية يمكن أن تنطبق على سلوك الأفراد؛ لأنهم يمارسونها في حياتهم اليومية فعلًا من خلال مهاراتهم الشخصية وعلاقاتهم الاجتماعية.

هذا هو مفهوم رأس المال الرمزي، وفق بورديو، ومن ثم سوف يدرس رأس المال الثقافي بوصفه رأس مال رمزيًا، وكيف يستثمر الفرد في أفعاله الرمزية مثل: اللباقة والأناقة وقواعد السلوك وآدابه التي يقرها المجتمع، وذلك لتحقق له سلطة رمزية ومكانة اجتماعية واقتصادية.

ثانيًا: رأس المال الثقافي:

يمثل الاستهلاك المظهري رأس المال الاقتصادي، وهو يركز على اقتناء الأشياء واستهلاكها بوصفها مادة لها وظيفة مظهرية، في حين يمثل الاستهلاك الثقافي رأس المال الثقافي، وهو يركز على اقتناء الأشياء المادية والمعنوية بوصفها جماليات قابلة للاستثمار الاجتماعي، وهذا ما تهتم به هذه الدراسة. ووفق هذه النظرية يرى بورديو أن الصراع والتنافس بين البرجوازي الاقتصادي والبرجوازي الثقافي موجودان في جميع جوانب الحياة اليومية، وأجرى دراسات على المدارس والجامعات والمتاحف والفنون والمطاعم وغيرها، وتوصل إلى ذات النتيجة بشكل عام، ومن أشهر الدراسات التي عرضها، وسنفصل فيها لاحقًا، أن البرجوازي الاقتصادي يشتري اللوحات الفنية والتحف لغلاء ثمنها ويعرضها ليدلل على قوته الشرائية، ولذلك لا يلقي بالًا كبيرًا لجمالياتها، فيضطر أن يعرضها مشتتة الذوق، في حين يشتريها البرجوازي الثقافي بثمن يناسب دخله لكنه يتمتع بقدرة عالية على تذوق جمالياتها وطريقة عرضها بمنزله أو مكتبه؛ ولوحظ بروز شركات تصميم تغطي مشكلة البرجوازي الاقتصادي في الذوق وصارت تقدم خدمة التصميم المنزلي وتنسيق الذوق.

وقد لوحظ وجود علاقة كبيرة بين بناء رأس المال الثقافي والتذوق الجمالي له في كثير من جوانب الحياة اليومية وفي الممارسات الدينية والاجتماعية والاقتصادية، وأن مستوى التمثلات للشيء تنعكس على قيمته ومن ثم على ممارساته، فإذا ضربنا مثالًا بالساعة اليدوية، نلحظ أن بعض الناس يرى أنها شيء

مادي له وظيفة الإخبار بالوقت، ولذلك تنخفض قيمتها في تمثلاته ومن ثم فسوف يشتري ساعة رخيصة الثمن، في حين يرى بعض الناس أن الساعة لها قيمة جمالية، إذ تعكس المظهر العام لصاحبها، وماركتها تحدد قدرته الشرائية واستهلاكه المظهري، ما يعطي من يتعامل معه مؤشرًا على ذوقه وعلى مستواه الاجتماعي والاقتصادي؛ ويلحظ أن جودة السلعة في السوق تخضع بشكل كبير لمستوى تذوق المجتمع، وتمثلاته لدرجة مادية السلعة أو جمالياتها، وهذا هو رأس المال الثقافي الذي تهتم به الدراسة. والفرائض الدينية كأركان الإسلام الخمسة مثلًا، يمكن أن ينفذها المسلم بوصفها أشياء مادية وظيفية قائمة على الأمر والالتزام، وقد يؤديها كجماليات يستمتع بها، ويعد الحديث: "أرحنا بها يا بلال" نموذجًا مناسبًا لتذوق جماليات الصلاة واستحضار سمتها.

ويتضمن هذا المبحث أهم مكونات رأس المال الثقافي.

١- تعريفه :

يقصد بالثقافة في هذه الدراسة، كما تقدم: أسلوب الحياة ونمط العيش وقواعد السلوك وآدابه، وتعتمد فكرة ربط الثقافة برأس المال على دراسة الثقافة بوصفها منتجًا له سوق وقيمة تبادلية، ويمكن للفرد أن يستثمره في ثقافته العامة ويدخرها ويعرض منها للعملاء المستهدفين، والدخول بها في منافسات وصراعات مع السوق المعروضة فيه، وهذا السوق يمثله "الحقل" كالحقل التربوي والطبي والديني والعسكري ونحو ذلك، ما يمكن أن يحقق له أفضل الأرباح. ويكون لنوع الثقافة المعروضة وجودتها سعر صرف يخضع لتقييم المستهلكين ومنحه القيمة المناسبة له.

إن مفهوم رأس المال الثقافي لدى بورديو يغطي تنوعًا واسعًا من المصادر مثل: البراعة اللفظية، والإدراك الثقافي العام، والتفضيلات الجمالية، والمعرفة العلمية، والشهادة الدراسية، وهو بهذا يرى أن الثقافة بهذا المفهوم يمكن أن تكون من مصادر القوة (سوارتز، ٢٠١٥م: ٧٠). لذلك تركز تحليل بورديو على ربط الثقافة الراقية بوصفها جماليات تعزز من مكانة الفرد إذا مورست بثقة وارتياح بوصفها نمط حياة، ويمكن عدُّ "جوهر مفهوم رأس المال الثقافي لدى بورديو، هو معرفة الفرد بالثقافة الجمالية المتميزة ذات المركز الاجتماعي الرفيع وإدراكه لعناصرها" (أبو دوح، ٢٠١٤م: ١٠٥)، ولكنه لم يقطع الطريق على من نشأ على ثقافة طبقة وسطى ودنيا؛ ولذلك يرى أن رأس المال الثقافي هو حصيلة جمع قواعد السلوك وآدابه التي ورثها الفرد من أسرته، زائدًا عدد سنوات الدراسة والشهادات التي اكتسبها من المدرسة والجامعة، إضافة إلى الهوايات الشخصية الراقية التي تحظى بتقدير المجتمع، كذلك المهارات الذاتية في القدرة اللغوية وإدارة الجسد التي يتقنها الفرد وتنتزع إعجاب المجتمع، وتعد هذه المكتسبات رأس مال رمزي تسهم في تحقيق مكانة اجتماعية واقتصادية للفرد.

وعلى المستوى الأكاديمي حلل بورديو رأس المال الثقافي في سياق مشروعه العلمي الكبير عن علاقة "الممارسة الاجتماعية" بعمليات "إعادة الإنتاج" الثقافي والاجتماعي والاقتصادي في المجتمع، وتوصل إلى أهمية معرفة التمثلات الدقيقة لثقافة الحياة اليومية وممارساتها، وسماها بالهابيتوس، ومعرفتها والوعي بها يظهر على شكل رأس مال ثقافي، وليست مجرد ثقافة

وقواعد سلوك مجردة تمارس كتقاليد وتنشئة اجتماعية فحسب، وقد طبق نظرية رأس المال الثقافي على المجتمع الفرنسي، وأثبت أن الثقافة التي تعرض في المناهج تُسوّق من غير وعي لرأس المال الثقافي للطبقة البرجوازية التي صاغت المناهج وتعلي من قيمة ثقافتها.

يتكون رأس المال الثقافي في الحياة اليومية من حقل وهابيتوس، يتضمن تمثلات وممارسات اجتماعية، يتبعها الفاعل الاجتماعي لإدارة رأس ماله الرمزي والمناورة من أجل الحفاظ على الهيمنة داخل الحقل؛ فالعامل في حقل من الحقول، لا يمكنه انتزاع المشروعية والانخراط في العمل والإنتاج بشكل فعّال إلا من خلال منظومة الإدراك والاستعدادات والتصورات المكتسبة (الهابيتوس) التي يكتسبها الفاعل في الحقل (عماد، ٢٠٠٦م: ١٠٢).

ويستخدم كثير من الباحثين الثقافة للإشارة إلى الحس السليم والذوق العام والمعارف الثقافية التي تساعد الناس على النجاح، في حين يستخدمها بورديو بشكل أعمق بوصفها رأس مال ذا قيمة تبادلية من خلال ربطها بتحقيق المكانة الاجتماعية والاقتصادية. ويرى بورديو أنه "كلما كان رأس المال الثقافي للعائلات أكثر أهمية وكان وزنه النسبي أكبر من رأس المال الاقتصادي، استثمرت في التعليم المدرسي" (بورديو، ١٤٢٥هـ: ٢٨)، ومن ثم "فهو لا يعتبر الثقافة بمثابة الوصول إلى التراث الثقافي والفني فحسب، ولكن كذلك كتدرج للقيم والممارسات، إلا أن ما يهم في التحليل هو أن الثقافة لها خصائص رأس المال، وبالتالي فهي رهان للصراعات في حقل استقلاليته (بزاز، ٢٠٠٤م: ٢١١)، ويمتاز رأس المال الثقافي بأنه يمكن إنتاجه في كل حقل من الحقول العملية والعلمية، إذ يستطيع الفرد الذي يعي بثقافته أن يحولها إلى رأس مال في مجال عمله، سواء للطالب والموظف والطبيب وهكذا، يقول بورديو: "إنني أعزو جميع السلوكيات الاجتماعية إلى شكل معين من المنفعة والاستثمار" (بورديو، ٢٠١٢م: ٥٣).

وبذلك يتضح أن رأس المال الثقافي هو عملية تراكمية يجمع بينها ممارسات الأسرة وتعاليم المدرسة، وتنغرس في وعي الفرد ولاوعيه عبر سنوات، وهذه العملية التراكمية هي التي سماها بورديو بالهابيتوس، ومن ثم يتحول الهابيتوس إلى خبرات وإستراتيجيات يستخدمها الفرد بوعي وبلا وعي ويحقق من خلالها مكاسب اجتماعية مع امتثاله لقواعد المجتمع والتزامه بالنظام العام؛ ومن هنا تكمن صعوبة دراسة رأس المال الثقافي.

٢ - أنواع رأس المال الثقافي:

درس بورديو نوعين رئيسين من رأس المال الثقافي هما: رأس المال الثقافي الموروث من الأسرة، ويندرج تحته نوعان آخران ثانويان وغير رئيسين هما: رأس المال الثقافي المجسد (الاهتمامات الراقية) ورأس المال الثقافي اللغوي، والثاني رأس المال الثقافي المكتسب من المدرسة والجامعة، ويبدو أن تقليله من أهمية النوعين الثانويين نابع من بدهيتهما في المجتمع الفرنسي، ولكنهما، في تقدير الباحث، مهمان للغاية في المجتمع العربي؛ لأن رأس المال المجسد، ويقصد به الاهتمامات الراقية، يعكس شخصية الإنسان وتميزه في مجتمع يوصف بأنه لا يهتم بالثقافة الراقية والفنون الجميلة، ورأس المال اللغوي له عمق في التراث العربي والإسلامي، وهو بحاجة إلى إعادة اكتشافه في ظل هيمنة لغة الشارع على الإعلام والحياة اليومية. وسوف يدرس هذا المبحث هذه الرساميل كما يلي:

أ - رأس المال الموروث:

يتكوّن رأس المال الثقافي الموروث داخل الأسرة وعبر سنوات التنشئة الاجتماعية للأفراد من خلال تمثلاته لتعليمات أفراد أسرته وتقمصاته لممارساتهم في الحياة اليومية، ومن ثم فإن الفرد يرث تفاصيل ثقافة أسرته بوعي وبلا وعي، كما يتشكل رأس المال الثقافي الموروث من خلال عمليات منح العائلات لأبنائها مجموعة من أنماط الحياة المتميزة، وشبكة قوية من العلاقات الاجتماعية، وهو يمثل اتجاه العائلات نحو صياغة سلوك أفرادها، وتزويدهم بمصفوفة خاصة من القيم العالية والمميزة في نمط الحياة وفي تذوق الفنون يتوارثونها عبر الأجيال (O'Hara، ٢٠٠٨م: ١٨٩؛ عن عبدالعظيم، ٢٠١١م: ٦٣). ويحقق للأفراد أرباحًا مباشرة داخل النظام التعليمي، ويمنحهم التميز، إضافة إلى الأرباح التي يحققها في أماكن أخرى مثل سوق العمل (عبدالعظيم، ٢٠١١م: ٦٣).

وتكمن أهمية نمط الحياة المتميز للأفراد في أنه استثمار ثقافي قادر على منافسة الاستثمار الاقتصادي في مجال تحقيق المكانة الاجتماعية والاقتصادية، إذ يرى بورديو أن أسر الطبقة الثرية حولت رأس مالها الاقتصادي إلى رأس مال ثقافي من خلال تنشئة أبنائها على الثقافة المتميزة، مثل تعويدهم على الحوارات الأسرية، ودعمهم بالدروس المنزلية، وزيارة المتاحف، وبعد تدريبهم وتشربهم لهذه الثقافة المتميزة يصبح لديهم -وفقًا لبورديو- "رأس المال الثقافي الموروث"، فهو رأس مال مرتبط برؤية الأسرة لمشروعات الحياة وحسن تقييمها، وستكون معهم مدى الحياة أينما كانوا (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧).

ويتبع رأس المال الموروث نوعان مهمان ولكنهما وردا ثانويين في النظرية، بحسب بورديو، هنا:

ب - رأس المال الثقافي المجسد:

هو نوعٌ من أنواع رأس المال الثقافي، وهو ليس أساسيًا في نظريته، ويقصد به اقتناء الكتب واللوحات الفنية والمقتنيات الموسيقية ونحو ذلك من الممتلكات التي يحتاجها الشخص لدورها في رفع مكانته الاجتماعية والاقتصادية (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧).

ج - رأس المال الثقافي اللغوي:

يتداول الناس في حياتهم اليومية تقييمًا ماديًا رأسماليًا للكلام وللصمت، فيقيم بعض الكلام بأنه من ذهب، ويوصف الفرد بأنه يزن كلامه، وفي الأمثال: "إذا كان الكلام من فضة فالسكوت من ذهب"، وهذه التمثلات للكلام لا تقف عند حد التقييم وحسب، فهي كالنقود تمامًا تكمن قيمتها فيما تجلبه، ولذلك يدفع المجتمع ثمن اللغة عبر إبداء الإعجاب من المتحدث أو التذمر منه، ومن ثم يقرر مدى أهمية التعامل معه، وسبق أن تحدث العلماء والفلاسفة عن القيمة الاقتصادية للغة مثل: جون لوك ودفيد هيوم (كولماس، ٢٠٠٠: ٧، ٨).

ويرى بورديو أنه بعد انتهاء أبناء الطبقة المسيطرة من الدراسة، فإنهم يعيدون تحويل استثمار رأس مالهم الثقافي إلى امتياز اقتصادي، مختتمين بذلك دورة التوالد ودائرة إعادة الإنتاج الثقافي، ويؤكد أن لرأس المال الثقافي فائدة بعد المدرسة من خلال تمكين أصحابه من بناء علاقات جيدة مع الداعمين المحتملين وأصحاب التوظيف، وكذلك مع شريك الحياة عند الزواج (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧).

د - رأس المال الثقافي المكتسب:

يمثل رأس المال المكتسب نصف نظرية رأس المال الثقافي، ونصفها الأول هو رأس المال الموروث، ويقصد بورديو برأس المال المكتسب هو ما يكتسبه الفرد من المدرسة والجامعة، وهو عدد سنوات الدراسة، والشهادة، وهما الشيئان الوحيدان اللذان لا يمكن أن يحصل عليهما من الأسرة ولا من أي مؤسسة غير المدرسة والجامعة، لذلك اهتم بورديو كثيرًا بدراسة المدرسة والجامعة.

حاول بورديو أن يثبت في دراساته عن التعليم أن النظام التعليمي في الدول الحديثة يعمل بتحيز منهجي ضد الطبقة الدنيا، لكنه تحيز غير مقصود، وقدم مثالًا واحدًا يظهر فيه كيف يتكون رأس المال الثقافي المكتسب من المدرسة بالنسبة لأبناء الطبقة الوسطى أو البرجوازية، ويظهر فيه أيضًا العنف الرمزي الذي يقع على أبناء الطبقة الدنيا أو العاملة، وانعكاس ذلك على التدرج الطبقي وإعادة الإنتاج الثقافي والاجتماعي، إذ يميل المعلمون إلى مدح مهارات الطلاب والثناء عليهم أمام زملائهم بعبارات كبيرة، مثل: التحدث جيدًا، أو التفكير بطريقة مبدعة، في حين أن هذه الميزات هي منتجات هابيتوس الطبقة البرجوازية الثقافية التي ينتمي إليها الطالب، وبالعكس فإن هابيتوس الطبقة العاملة الدنيا لا تسلح أفرادها بمهارات التحدث الجيد والتفكير المبدع؛ ولذلك يصفهم المعلمون بأنهم أقل موهبة وذكاءً؛ ونتيجة لهذا الموقف فإن طلاب الطبقة العاملة يتبنون رأي المعلمين فيهم بوصفه صورة ذاتية، ثم يرون أنفسهم قليلي الخبرة مقارنة بالطلاب المتميزين بشكل طبيعي؛ وبناء على ذلك يتولون عملية إقصاء أنفسهم عن أي إنجازات أكاديمية؛ لأنهم يعدون أنفسهم فاشلين منذ الولادة؛ وتحدث هذه التفاعلات الاجتماعية بصورة غير مقصودة سواء من المعلمين أو من الطلاب (إنغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٥،٢٦٦).

يرى بورديو أنه عندما يذهب هؤلاء الأطفال ذوو الثقافة المميزة إلى المدرسة يتوهم المعلمون في تفسيرهم لهذه الثقافة الموروثة، إذ يفسرونها على أنها من مؤشرات الذكاء والموهبة؛ لذا فإنهم يحولون رأس مالهم الثقافي إلى علامات دراسية جيدة، مع تشجيع ودعم للطلاب وقبولهم في برامج أكاديمية تنافسية (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١٦٧/١)؛ وهذا يسهل للطالب أن يعكس صورة ذهنية إيجابية عنه تجعله في مركز مفضل في الترشيحات للنشاطات الطلابية القيادية؛ فالنجاح في المدرسة يسهل النجاح في الحياة بعد ذلك، وبخاصة بعد التخرج من الجامعة، إذ يتحول "رأس المال الثقافي الموروث" إلى "رأس مال ثقافي مكتسب" المتمثل في المؤهلات، ودرجات علمية، وشهادات جامعية (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١٦٧/١).

هذا ما يسميه بورديو بالعنف الرمزي؛ لأن الذي وقع منه العنف - وهو المعلم - لا يقصد الإهانة، ولأن الطالب يحمل نفسه المسؤولية ولا يعرف أنه معنّف رمزيًا، والتأثير النهائي هو أن الطبقة العاملة تظل أسيرة حالة من التبعية الثقافية، وخاصة أن المؤهلات الأكاديمية التي يفتقر إليها طلاب هذه المجموعة تعد شكلًا مهمًا من أشكال رأس المال الثقافي، كما أنها تقوم بعمليات مشابهة على إقصاء الذات عن الثقافة في مجالات أخرى مثل زيارة المعارض الراقية والمتاحف، ليس لأسباب مادية، ولكن لأن هابيتوس المجموعة التي ينتمون إليها لم تمدهم

بالمهارات اللازمة لفك شيفرة المعاني الرمزية لهذه الأماكن، ومن ثم فإنهم سيكونون عاجزين عن التحدث عنها بسلاسة، ولذلك يتجنبون هذا الإشكال الثقافي لانزعاجهم منه. ويتركونه لأصحاب الثقافة العليا وهم البرجوازية الثقافية (إنغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٦)، وبهذا الشكل المتراكم والمتسلسل تحدث عمليات إعادة الإنتاج الثقافي.

٣ - تشكيل رأس المال الثقافي :

إن فهم رأس المال الثقافي بوصفه تنشئة اجتماعية على أنواع المهارات والفنون والذوق الرفيع دون ربطه بكامل أجزاء النظرية يعد فهمًا غير دقيق؛ إذ يشترط لهذه التنشئة أن تحظى بالاعتراف من قبل المؤسسة التعليمية، من خلال زيادة فرص النجاح والتميز الدراسي والشهادة، ثم يعترف به من قبل المجتمع من خلال منحه الوجاهة والمكانة الاجتماعية المميزة، ثم أخيرًا يكون لهذا الاعتراف قيمة وتتحول من رأس مال ثقافي إلى رأس مال اقتصادي.

لذا فقد حدد بورديو ثلاث حالات يمر بها رأس المال الثقافي هي كما يلي:

أ - مرحلة التطبع embodied state :

وتسمى التجسد أيضًا، والتجسد هو مجموعة من الاستعدادات الثقافية التي تتوارثها الأسرة وتصبح طبيعة ثانية للفرد، ويتمثل التجسد أو التطبع في أساليب الحديث والوقوف والمشي والتفكير والشعور، ويتحول هذا التطبع بمجرد دخول الفرد في حقل جديد من خلال عملية الحراك الاجتماعي، ثم يصبح ميالاً لتفضيلات وأذواق ثقافة معينة (ستيفنسون،٢٠١٢م: ٤٧٦).

ويلاحظ بورديو أن المنافع الثقافية تختلف عن المنافع المادية في أن المرء يستطيع أن يستولي عليها أو يستهلكها فقط عن طريق إدراك معناها، ويتضمن هذا الموسيقى والأعمال الفنية والصيغ العلمية، وكذلك أعمال الثقافة الشعبية (شوارتز، ٢٠١٥م: ١١٤). وسماها أبو دوح الحالة المادية المتحدة أو المجسمة، وتتعلق بتنظيم العقل والجسد، وتتطلب من الفرد بذل الوقت والجهد لتكوين رأس ماله الثقافي ومراكمته (أبو دوح، ٢٠١٤م: ١٠٥).

ب- مرحلة الظاهرة أو التموضع Objectified :

وهي الحالة الموضوعية، وتتعلق بالمقتنيات الثقافية الراقية مثل الكتب والتحف (أبو دوح، ٢٠١٤م: ١٠٥). وفيها يتحول رأس المال الثقافي إلى سلع ثقافية، مثل اللوحات الفنية والآلات الموسيقية والكتب وغيرها (أحمد، ٢٠١٠م: ٢٨٠)، وهي الجزء المكمل لرأس المال الثقافي الموروث لكي تعزز من قيمتها، ودورها ثانوي في نظرية بورديو (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١٦٧/١).

ويرى بورديو أنه من المنطقي الحديث عن أساليب المستهلكين في العيش في ضوء رأس المال الثقافي والاقتصادي؛ لأن القادرين على تعريف الذوق وحسن البصيرة أو البذاءة يفرضون تعريفاتهم لها على الجماعات التابعة (ستيفنسون، ٢٠١٢م: ٤٧٦).

ج- مرحلة الاعتراف المؤسسي Institutional-ized :

وهي تمثل الاعتراف الأكاديمي بهذا الرأسمال الثقافي ومنح الشهادة عليه (أحمد، ٢٠١٠م: ٢٨٠)، وهذا يمنح مالك الشهادة شرعية في التقدير الثقافي والكفاية الثقافية (ستيفنسون، ٢٠١٢م: ٤٧٦).

ويمكن أن تتحول هذه المراحل الثلاث من رأس مال ثقافي إلى رأس مال اقتصادي، ولهذا يتحدث بورديو عن منافعها الرمزية والمادية بسبب ندرتها النسبية التي تخول ملاكها في التربح منها (ستيفنسون، ٢٠١٢م: ٤٧٦).

ثالثًا: الطبقات الاجتماعية بحسب رأسمالها الثقافي والاقتصادي:

يجادل بورديو بأن الثقافة بوصفها نمط حياة، إنما هي سلطة رمزية وقوة اجتماعية، لا تقل عن السلطة الاقتصادية، وقد نقل نص لأندريه موت، وهو أحد كبار رجال الصناعة الفرنسيين، للتدليل على الهيمنة الاقتصادية التي أرعبت الفنانين من قبل الأثرياء الجدد المفتقرين إلى أي ثقافة، من الذين يهمهم انتصار سلطة المال وسيادته في المجتمع، ويعادون الأشياء الثقافية والعقلية، من نحو: "أنا أكرر كل يوم لأبنائي أن الشهادة المدرسية لن تطعمهم أبدًا قطعة من الخبز يقضمونها، وإنني أدخلتهم الكلية لكي أتيح لهم تذوق المباهج العقلية والروحية، ولكي أجعلهم يحترسون من كل المذاهب الزائفة، سواء في الأدب أو في الفلسفة أو في التاريخ، ولكنني أضيف أن هناك بالنسبة إليهم خطرًا عظيمًا في إدمان المباهج العقلية والروحية" (بورديو، ٢٠١٣م: ٨٥).

يتضح من هذا النص رؤية بورديو للمجتمع بوصفه فضاءً للاختلافات، وليس سلمًا ولا هرمًا، وينتظم هذا الفضاء الاجتماعي موارد موزعة بين نوعين من رأس المال، هما: رأس مال اقتصادي مادي وتكمن موارده في الثروة المادية والرواتب ومداخيل أخرى؛ ورأس مال ثقافي، وتكمن موارده في المعارف والشهادات وآداب السلوك، ويحدث التمايز في المجتمع بين هذين النوعين؛ أي بين المال والثقافة (كابان ودورتيه، ٢٠١٠م: ٢٠٨). وبدخول الثقافة منافسًا حقيقيًا للمادة وبديلًا للرؤية الأحادية التي تحتكر المكانة الاجتماعية والاقتصادية لذوي الهيمنة المادية، استطاع بورديو أن يوزع أساليب السلطة، وعلى المستوى الأكاديمي استطاع أن يوسع مجال علم اجتماع المعرفة من خلال توزيع التنافس على ميادين مختلفة التي سماها حقولًا.

وحيثما يوجد رأس مال يوجد الصراع، وحيثما يوجد الصراع توجد طبقات مهيمنة وطبقات مهيمن عليها، والصراع على رأس المال مهما كان نوعه يكون في حقل خاص به، ويرى بورديو أنه يجد "صراعًا في كل حقل بين الداخل الجديد الذي يحاول أن يكسر أقفال حق الدخول والمهيمن الذي يحاول أن يدافع عن احتكاره ويبعد عنه المنافسة" (بورديو، ٢٠١٢م: ١٨٢). ومن هنا يدرس بورديو كيف وعي الناس بالحقيقة ورؤيتهم للواقع وطرقهم للدفاع عن المجتمع أو عن مصالحهم، وتساءل بورديو عن كيفية تحديد سعر الصرف الذي يتغير بموجبه نوع من أنواع رأس المال إلى نوع آخر، وما القوانين التي يحدث بموجبها هذا التغير، وأكد على أنه "في كل عصر ثمة صراع على الدوام بشأن سعر الصرف بين مختلف الأنواع، وهو صراع تتواجه فيه مختلف فئات الطبقة المُهيمنة التي يحسب لرأس مالها الإجمالي ألف حساب من قِبل هذا النوع أو ذاك، أولئك الذين كان يطلق عليهم المقتدرون كانت مصلحتهم تقتضي إعادة تقييم دائم لرأس المال الثقافي نسبة إلى رأس المال

الاقتصادي، إننا نرى... أن هذه الأشياء التي اتخذناها ثيمات لنا، مثل رأس المال الثقافي ورأس المال الاقتصادي وغيرهما، هي بحد ذاتها رهانات صراع في الواقع الذي ندرسه بعينه" (بورديو، ٢٠١٢م: ٩٤).

درس بورديو الطبقات وبين شروط بناء تصور الطبقة ضمن إطار تحليل بنية المجتمع، وانتقد تفسير النزعة الاقتصادية بوصفها محددًا رئيسًا للطبقات، وإنما جعل كل علاقة اجتماعية تمثل رأس المال، وجعل المقياس العام الذي يقيس به الطبقات والشرائح الاجتماعية هو حجم رأس المال وبنيته، وليس علاقة الإنتاج أو استقلال العمل المأجور كما في الماركسية (غالي، ١٩٩٩م: ٤٠). ولذلك يفسر بورديو رأس المال الرمزي من خلال الممارسات الثقافية، إذ تحرص الطبقات المسيطرة على تمييز نفسها باختيارات الذوق الرفيع، "ويرى بورديو أن الثروات الثقافية مصنفة حسب تدرجات: المسرح الكلاسيكي يقابله مسرح الشارع، ورياضة الغولف تقابلها كرة القدم، وتوجد ميادين ثقافية نبيلة كالموسيقى الكلاسيكية والنحت والأدب وممارسات أقل نبلًا... ولكن داخل كل من هذه القطاعات نجد مستويات مختلفة من التمييز، فداخل الموسيقى الكلاسيكية يمكن أن نعثر على الذوق الشعبي والذوق المتوسط والذوق المتميز" (بزاز، ٢٠٠٤م: ٢١٥).

جادل بورديو بأن المعرفة موجودة داخل كل المجالات، وأن المواقف التقليدية أو المغايرة توجد في نطاق علاقات تنافسية فكرية، ودرس في كتاب "التمايز" Distinction ظاهرة الذوق المستبطن لأناس من بيئات اجتماعية متباينة ليتميزوا اجتماعيًا وثقافيًا (Seiller&Arditi: ٢١٧، ١٩٩٤م)؛ ويؤكد بورديو على أن سلوك الأفراد يخضع بالضرورة لحجم امتلاكهم لنوع من رأس المال، سواء أكان رأس مال مادي أم رأس مال رمزي، وشبهها بلعبة الورق، "سأقول بكل بساطة: إن لعبة مختلف اللاعبين على مستوى الإستراتيجية -سأسميها من الآن فصاعدًا اللعبة- ستعتمد لعبتهم على مستوى توزيعة الورق، وخاصة على الحجم الإجمالي لرأس مالهم" (بورديو، ٢٠١٢م: ٩٥)، ويكمن رأس مالهم في عدد القطع، فمن يكون لديه كثير من القطع الحمراء وقليل من القطع الصفراء مثل من يملك كثيرًا من رأس المال الاقتصادي وقليلًا من رأس المال الثقافي، وهؤلاء لا يلعبون مثلما يلعب من يكون لديه كثير من القطع الصفراء وقليل من القطع الحمراء (بورديو، ٢٠١٢م: ٩٥).

يقدم هذا المبحث مثالًا تطبيقيًا جاء نتيجة دراسات بورديو الميدانية التي سعى أن يثبت فيها قدرة رأس المال الثقافي على تحقيق المكانة الاجتماعية والاقتصادية باستخدام الأفراد لهابيتوسهم الخاص بهم، وصاغ بورديو نظريته عبر دراساته لنظام الأذواق والتفضيلات الثقافية في المجتمع الفرنسي الذي حلل فيه تمايز الطبقات الاجتماعية من خلال استهلاكهم المادي والثقافي في كتاب التمايز، وقد ترجم الباحث الجزء الذي يخص تمايز الطبقات، إلا أنه اطلع على التلخيص الذي قدمه ديفيد إنغلز وجون هيوسون في كتابهما المترجم بعنوان "مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة"، وبمقارنة الترجمتين فضل الاعتماد على كتاب المدخل لتضمنه ترجمة أدق تؤدي إلى المعنى بصورة أفضل.

تعد دراسات بورديو عن رأس المال الثقافي جزءًا أساسيًا ضمن دراساته المتكاملة عن الممارسة الاجتماعية

التي طور من خلالها مفهوم الهابيتوس، ثم في استخدام الهابيتوس في رأس المال الاجتماعي ورأس المال الثقافي ورأس المال الرمزي، ويرى أن هذه الرساميل تتقاطع بصورة معقدة مع رأس المال الاقتصادي، ومن ثم فإن من يملك رأس مالٍ ثقافيٍّ فسيكون على وعي بطبقته التي ينتمي إليها (ليشته، ٢٠٠٨م: ١٠٧).

بنى بورديو مفهومه الخاص عن الطبقة من خلال المفهومين النقيضين اللذين صاغهما كارل ماركس وماكس فيبر، ففي منظور ماركس أن المجتمع يتكون من طبقتين، ومن أهم سماتهما أنهما متصارعتان، فطبقة مسيطرة على موارد الإنتاج، وطبقة مسيطر عليها، وأن الاقتصاد وموارد الإنتاج هما جوهر الصراع وأساس التقسيم الطبقي، بينما يرى فيبر أن المجتمع يتكون من حقول مختلفة كالحقل الطبي والتعليمي والهندسي والرياضي وهكذا، وفي داخل كل حقل طبقات متصارعة، وأن جوهر الصراع بينهم هو الترقي في أعلى سلم الحقل، ومن هذه الملامح الرئيسة للنظريتين بلور بورديو مجموعة مفاهيم مهمة لتفسير ظاهرة الصراع الثقافي الطبقي في المجتمع والعنف الرمزي الذي تستخدمه الطبقة البرجوازية لقهر الطبقتين الوسطى والدنيا، ثم نمط كل طبقة في إعادة الإنتاج الثقافي.

بنى بورديو نموذج الطبقات على أساس وجود نوعين من رأس المال، هما: رأس المال الاقتصادي أو النقدي المتاح للفرد التصرف به، ورأس المال الثقافي، وهو الموارد الثقافية التي يمتلكها الفرد في إدارة شؤونه ومصالحه (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٥١)، وتوصل إلى وجود ثلاث طبقات اجتماعية رئيسة، متفاوتة في رصيدها من رأس المال الاقتصادي ورأس المال الثقافي، وحلل بورديو هابيتوس كل طبقة، وأكد في دراساته أن رأس المال الثقافي يتكون من فائق قيمة يمكن تداولها للاستهلاك مثلها مثل رأس المال الاقتصادي، وهما قطبا الصراع والتنافس، من خلال مناورة كل طبقة في تحقيق مكانتها الاجتماعية والمحافظة عليها بإعادة إنتاجها وتوريثها لأبنائها، في حين اكتفت الطبقتان الوسطى والدنيا بتقديم خدمات التفرج والمقارنة بين الطبقات العليا، وذلك لعدم فاعلية هابيتوسهما، وذلك كما يلي:

١ - الطبقة الوسطى العليا: وتضم مجموعتين فرعيتين هما:
   أ- البرجوازية الاقتصادية: وتمتاز بأنها تملك رأس مال اقتصادي مرتفع، ورأس مال ثقافي متوسط.
   ب- البرجوازية الثقافية: وتمتاز بأنها تملك رأس مال ثقافي مرتفع، ورأس مال اقتصادي متوسط.
   وهاتان الطبقتان تعدان أساس دراسة بورديو فقد توسع في تحليلهما.
٢- الطبقة الوسطى الدنيا (البرجوازية الصغيرة): تملك رأس مال ثقافي متوسط إلى متدنٍ، ورأس مال اقتصادي متوسط إلى متدنٍ.
٣- الطبقة العاملة: تملك رأس مال ثقافي متدنٍ، ورأس مال اقتصادي متدنٍ (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٥٤،٢٥٣)، ويلحظ من هذا التقسيم الطبقي أنه جاء وفق النموذج الفرنسي الذي أجرى فيه بورديو دراساته، بينما يختلف عنه النموذج السعودي في تقسيم الطبقة العليا، فالنخب السعودية إما بيروقراطية وإما اقتصادية وإما علمية دينية، بينما

لا تحظى النخب الثقافية بنفوذ اجتماعي واضح كما هو الحال في فرنسا.

توصل بورديو إلى هذا التقسيم الطبقي القائم على الصراع الثقافي من خلال دراسات موسعة للأذواق والتفضيلات الثقافية في فرنسا فترة الستينيات والسبعينيات الميلادية من القرن العشرين، إضافة إلى أنه وظف في كتابه "التمايز" مجموعة متنوعة من أساليب البحث شملت المسح الاجتماعي والاقتصادي حول الممارسات الثقافية المفضلة، ومقابلات معمقة مع أفراد من خلفيات مختلفة، وملاحظات إثنوغرافية لأساليب المعيشة لمجموعات طبقية مختلفة، وذلك بهدف الوصول إلى تكوين رؤية شاملة للحياة الثقافية (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٥٤).

ومن أبرز الملامح الاجتماعية والاقتصادية والتفضيلات القيمية لكل طبقة التي درسها بورديو، ما يلي:

١- الطبقة الوسطى العليا:

وجه بورديو نقدًا للتحليل الماركسي الذي يصف الطبقة المهيمنة والمسيطرة في المجتمعات الرأسمالية الحديثة بأنها طبقة موحدة ومتجانسة، في حين يرى بورديو في نموذجه أن الطبقة المسيطرة أو البرجوازية تنقسم في الواقع إلى مجموعتين متميزتين، هما الطبقة الوسطى العليا، وقسمها إلى طبقة البرجوازية الاقتصادية، وطبقة البرجوازية الثقافية، ويكمن تميزهما في أن كلًا منهما يمتلك رأس المال المادي، بينما يختلفون في أن طبقة البرجوازية الاقتصادية، وهم رجال الأعمال الكبار ومديرو الشركات الكبرى، يميلون إلى امتلاك رأس المال الاقتصادي أكثر من ميلهم لامتلاك رأس المال الثقافي، أما طبقة البرجوازية الثقافية، وهم الكتّاب والنقاد والمهتمون بالفن والأكاديميون ذوو المستويات العالية، فهي عكسها تمامًا، إذ يفضلون امتلاك رأس مال ثقافي أكثر من رأس مال اقتصادي، ويقع بين هاتين المجموعتين مجموعة تمتلك نوعي رأس المال، وهم الذين يعملون في مهن تدر دخلًا مرتفعًا مثل نخبة المحامين والمسؤولين الحكوميين، وطبيعة عملهم تتطلب منهم أن يتمتعوا بمستويات عالية من رأس المال الثقافي (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٥٦).

يرى بورديو أن العلاقة بين طبقتي البرجوازية الثقافية والبرجوازية الاقتصادية تمتاز بالتعاون وبالصراع في آن واحد، ففي جانب الصراع، تعتقد كل طبقة أن رأس مالها هو الأفضل، وأنه ذو قيمة أكبر من الأخرى، إذ ترى البرجوازية الثقافية أن البرجوازية الاقتصادية "سوقية"، وكل تفكير البرجوازيين الاقتصاديين يتركز في المال، ولا يهتمون بالأمور "الأسمى قيمة في الحياة"، بينما ترى البرجوازية الاقتصادية أن البرجوازيين الثقافيين حمقى ومدّعين ومتطفلين على الفن، وأنهم لا يدركون "الواقع"؛ ويرى بورديو أن بين هاتين الطبقتين المتصارعتين هدنة إذا وصل الأمر إلى السيطرة على الطبقات الاجتماعية الدنيا، إذ تتعاونان فيما بينهما، بقصد أو بدون قصد، لإبقاء الطبقات الأقل منهما خاضعة، ولذلك تسلطان سيطرتهما الثقافية والاقتصادية على الطبقات الدنيا، وهذا ما يسميه بورديو "هيمنة تقسيم العمل"، إذ يتعاون الفريقان للحفاظ على نفوذهما، فيخضع أحدهما الطبقات الدنيا اقتصاديًا، فيما يخضعها الآخر ثقافيًا (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٥٧).

بعد ذلك ركز بورديو دراساته على البرجوازية

الثقافية بوصفها حاملة لرأس المال الثقافي وممثلة للطبقة الوسطى العليا، كما يلي:

- طبقة البرجوازية الثقافية

يرى بورديو أن لرأس المال الثقافي أهمية كبيرة لدى الطبقات المسيطرة في المجتمعات الرأسمالية المتطورة، المتمثلة في البرجوازية الثقافية، وهي سليلة العوائل الثرية التي تهتم بجذورها وعراقتها في المجد، مثل ملاك رأس المال الاقتصادي، وكبار المديرين، وذوي المهن ذات المؤهلات العالية. وتمتاز الطبقة المسيطرة -الاقتصادية والثقافية- بأنها غنية برأس المال الثقافي؛ لأنها توليه عناية فائقة، وأقل غنى برأس المال الاقتصادي، وتنظر هذه الطبقة إلى التعليم والثقافة نظرة عادية (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧).

يعتمد نجاح إعادة الإنتاج عند بورديو لضمان سيطرة البرجوازية الثقافية عبر الأجيال على أسلوب حياتها، ويعد أسلوب الحياة نتاج "هابيتوس" البرجوازية الثقافية التي ينشأ عليها أطفال تلك الطبقة، ويعتمد "الهابيتوس" بحد ذاته على رخاء هذه الطبقة المادي، الذي يصفه بورديو بالحياة المريحة، ولذلك فهي لا تنشغل بتلبية الاحتياجات الاقتصادية، وليس لديها متطلبات ملحّة، فينتج عن هذا أن أفراد هذه الطبقة يشعرون بالراحة تجاه أنفسهم ومحيطهم، ما يمنحهم الثقة والاطمئنان في أساليب حياتهم "الهابيتوس"، ولذلك يدركون بوعي أنهم مهذبون جدًا، ويعرفون كيف يتصرفون من دون أن يقعوا في الإحراجات، كما يدركون أنهم لن يجدوا من هو أفضل منهم في امتلاك رأس المال الثقافي، ولهذا فإن البرجوازيين الثقافيين يتصرفون براحة وسلاسة في صحبة الأفراد الذين ينتمون إلى طبقتهم وطبقات أخرى، وهذا الأسلوب يعد مصدرًا من مصادر نفوذهم الثقافي، باعتبار طبيعة "الهابيتوس" الخاصة به (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٥٧).

يثبت بورديو أن "هابيتوس" البرجوازية الثقافية وبرستيجهم الذوقي يتطلب الاهتمام بشكليات السلعة التي تزيد على حاجتهم الضرورية، ويحرصون على تميز كل قطعة يشترونها وأسلوب استخدامها أكثر من حرصهم على محتواها ووظيفتها، فمثلًا إذا اشتروا خزانة خشبية لحفظ أدوات مائدة الطعام، فإنهم يشترون خزانة خشبية معتدلة السعر، ولكن ذوقهم يفرض عليهم أن يكون رقيها في جمال ترتيبها في المنزل واتساقها مع الأثاث العام بحيث تكون قطعة فنية، ولا يهتمون بارتفاع سعرها أو نوع الخشب الذي صنعت منه مثلًا، ويؤكد بورديو أن القيمة الثقافية لا تكمن في الشيء الثقافي بحد ذاته، وإنما هي نتاج تنشئة الفرد ضمن "هابيتوس" معين تجعله يرى الشيء الجيد جيدًا والسيئ سيئًا، ولا حقيقة لها في الواقع، ولذلك فالبرجوازية الثقافية تدرك، خطأً، أن ذوقها طبيعي، وأنه أرفع مكانة وأرقى من الأذواق الأخرى، فهم يعيشون داخل شبكة من الاعتقادات الوهمية تعلي شأن ذوقهم، والواقع أنهم تربوا ونشأوا منذ طفولتهم على "هابيتوس" خاص بهم شكّل وعيهم وتفضيلاتهم الذوقية، لأنه -بحسب بورديو- لا يوجد جوهريًا ما هو أرفع أو أقل مكانة من غيره، ولكن البرجوازية الثقافية تبذل جهدًا اجتماعيًا كبيرًا لإخفاء هذه الحقيقة.

ويكرس البرجوازيون الثقافيون وجود ثقافتهم ويؤكدون الاعتراف الاجتماعي بها من خلال التزامهم بممارسة

طقوس ثقافتهم ومعتقداتهم بسموها ورقيها بصفة دائمة بصرامة وانتظام، كما يمارس المتدين شعائره الدينية بانتظام والتزام، ويحققون هذا بلا وعي منهم من خلال زيارة المواقع التي توصف بأنها الممثل لثقافتهم الشرعية، مثل المعارض الفنية والمتاحف، ويصفها بورديو بأنها "معابد الثقافة" التي يرتادها من يتسمون بالرقي لتأدية طقوس رقيهم، ويشعر البرجوازيون الثقافيون بالراحة في هذه الأماكن؛ لأنها مألوفة عندهم منذ طفولتهم، ويعرفون كيف يفسرون الأعمال المعروضة فيها فنيًّا، ويتحدثون عنها بثقة؛ ليظهروا قوتهم الثقافية، ويبرهنوا على رقي ذائقتهم بإبداء رأيهم فيما تعنيه اللوحة الفنية أو التمثال، أو بالربط بين أسلوب فنانين مختلفين، ولهذا فإنهم ينتجون خطابًا يثبت لهم وللآخرين بأن ثقافتهم راقية ومتميزة، وهم يمارسونه غالبًا بشكل طبيعي لا ادّعاء فيه، وبهذه الطريقة فهم يصنفون بأنهم قادرون على إنتاج أحكام راقية (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٥٨-٢٦٠).

ويرى بورديو أن الفنانين والمثقفين والمفكرين مثلًا يميزون أنفسهم عن مديري الشركات بتقديرهم الكبير للفنون الراقية؛ لأنها معقدة وخارجة عن المألوف وبعيدة عن أفهام الآخرين، كما أنهم يتبنون البساطة في الملبس وفي الديكور بما يتناسب مع مواردهم المالية المحدودة (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧).

يسمي بورديو هذه العمليات "امتلاك المصادر الثقافية"، وهي رأس المال الثقافي للبرجوازية الثقافية الذي يمكنها من وصف الفنون والثقافة المفضلة لديها بأنها هي الأرقى من غيرها، وبفرضها ذوقها على الآخرين، فإنها تكون قد امتلكت مصدرًا رئيسًا لسيطرة النخبة على التابعين، ويستند الذوق في المجتمعات الغربية الحديثة إلى مجموعة من التناقضات بين الطبقة البرجوازية الثقافية التي تمثل النخبة، والطبقة الوسطى الدنيا (الهشة) والطبقة العاملة اللتين تمثلان الطبقة العامة، ولذلك تستند الثقافة إلى مجموعة أساسية من التناقضات، لكل منها جذر في التمييز الجوهري بين النخبة والعامة، وعندما ينتقد أحد أفراد البرجوازية الثقافية شيئًا أو تصرفًا ما تفعله العامة، بأنه يفتقر إلى الذوق أو أنه غير راقٍ، فإنه في الواقع ينتقد طبقة العامة، ومن هنا سمى بورديو عنوان كتابه "التمايز"؛ لأنه يفسر الطريقة التي يستند كل ذوق من خلالها إلى مجموعات من المميزات التي تستند بدورها إلى مستويات أعلى من رأس المال الثقافي، حيث يميز الأفراد أنفسهم عن هؤلاء الذين يفتقرون إلى هذا الموارد؛ وإذا قبلت آراء البرجوازية الثقافية اجتماعيًّا، فإن الطبقات الدنيا سوف تنسحب إلى عالمها الخيالي، وستعترف بأن أذواق الثقافة البرجوازية راقية وأنها أفضل من ثقافتها وتفضيلاتها.

ولا يعد بورديو هذه الأساليب مؤامرة برجوازية مقصودة تستهدف إقصاء الطبقات الأخرى وتشوه سمعتها، وإنما هي نتيجة سلسلة متكاملة من الممارسات غير المقصودة، والمقصود في العملية هو جهود البرجوازية الثقافية للمحافظة على نفوذها الطبقي فقط، وفي الوقت نفسه هي إعادة إنتاج له (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٠).

٢ - الطبقة الوسطى الدنيا:

تعاني هذه الطبقة من نفوذ البرجوازية، ولكن "هابيتوسها" يمتاز بالإرادة الثقافية الحسنة، بحسب بورديو، وهي الرغبة في تقليد الممارسات الثقافية

للبرجوازية العليا؛ بهدف التميز، ولكن محاولاتها تفشل دائمًا لسببين:

الأول: هو أن البرجوازية الثقافية تهزم دومًا البرجوازية الدنيا، وتهمش ممارساتها الثقافية، حتى ولو مارست نشاطًا راقيًا؛ لأنها تكون خاضعة لإستراتيجيات محسومة، إذ إن مبدأ ممارسة الطبقة الوسطى الدنيا للشيء يجعلها مصنفة كثقافة شعبية مبتذلة، ما يجعلها تتخلى عنها. ويضرب بورديو مثالًا بانتشار التصوير بين أفراد الطبقة الوسطى الدنيا، ومحاولتهم عده فنًا، إلا أن عدم اعتراف الطبقة الوسطى العليا به جعله هواية شعبية، وكذلك المنتجعات السياحية الراقية، تترك فورًا إذا زاد ارتياد السياح من الطبقة الوسطى الدنيا لها.

والسبب الثاني: افتقار الطبقة الوسطى الدنيا إلى ما يسميه بورديو بالراحة الطبيعية، وهي التي تمتلكها الطبقة الوسطى العليا، وخوفهم الدائم من عدم الراحة، وتوقعهم الوقوع في مواقف محرجة على يد الأفراد الأرفع منهم مكانة، أو وصف ثقافتهم وإبداعهم بأنه تقليدي وعفا عليه الزمن، ما أفقدهم الثقة بأنفسهم وبثقافتهم الخاصة بهم.

ويرجع بورديو سبب تفوق الطبقة الوسطى العليا إلى التدريب الذي تلقاه أفرادها في تنشئتهم الاجتماعية على هابيتوس خاص بهم (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٢،٢٦٣).

٣ - الطبقة العاملة:

تحتل الطبقة العاملة أسفل الهرم، وهي الحلقة الأضعف في اللعبة الثقافية، فإذا كانت الطبقة الوسطى العليا تزدري ثقافة الطبقة الوسطى الدنيا، فإن الطبقة الوسطى الدنيا تزدري ثقافة الطبقة العاملة، ويرى بورديو أن وظيفة هذه الطبقة هي تقديم خدمة إظهار تميز الآخر باختلافه، ومن ثم فهي منبوذة ثقافيًا، ويصف بورديو "هابيتوس" الطبقة العاملة بأنه يتضمن الذوق اللازم، وليس لديها حياة مريحة؛ لأن أفرادها يكدحون لتلبية احتياجاتهم. ومن أبرز هابيتوس هذه الطبقة هو غرس عادات التوافق بين ما يحصل عليه أفرادها وما يحتاجونه، فعندما يشتري أحدهم شيئًا رخيصًا، فهو يعتقد أنه يمثل حاجته، وليس لأنه لا يملك المال الكافي لشراء الأفضل، فـ"الهابيتوس" الخاص بهم يملي عليهم ثقافة استهلاكية معينة ترفض السلع الفاخرة ولو اقتدر بعض أفرادها على شرائها، وينطبق هذا على مجالات الحياة الثقافية كلها ابتداء من الأطعمة إلى أذواق السلع الثقافية (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٤،٢٦٥).

يرى بورديو أن سبب التبعية الثقافية للطبقة العاملة هو إقصاء الذات (إنغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٥)، في مجالات التعليم والثقافة، "مثل الذهاب إلى المعارض والمتاحف، ولا تعد أجرة دخول هذه الأماكن هي ما يمنع أفراد الطبقة العاملة من الذهاب إليها، لأنها غالبًا ما تكون مجانية أو منخفضة التكلفة، بل لأن عاداتهم (هابيتوسهم) لم تسلحهم بالمهارات اللازمة لفك شيفرات معاني هذه الأماكن، وبدلًا من أن يكونوا قادرين على التحدث من دون أي جهد، عن الفن، يشعرون بعدم الراحة، وأنهم خارج السياقات التي اعتادوا عليها... ومن ثم تظل في موقع ضعف دائم" (إنغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٦).

وبناء على المسوح التي صُممت للتحقق من أذواق

الطبقات المختلفة تجاه الفن، توصل بورديو إلى أن أفراد الطبقة العاملة يحبون الأعمال الفنية التي تحمل معاني واضحة بشكل مباشر؛ لأنه ليس صعبًا، مثل صورة مزرعة ونحوها، وهذا الوضوح في المعنى هو ما يركز عليه "هابيتوس" الطبقة العاملة، وهذا الذوق يثير ازدراء الطبقات الأعلى منهم، ويعدونه فنًا ساذجًا وهابطًا (انغليزوهيوسون، ٢٠١٣م: ٢٦٥).

رابعًا: الثقافة بوصفها مصدرًا للمكانة الاجتماعية

درس علماء الاجتماع موضوع الثقافة بوصفها مصدرًا للمكانة الاجتماعية للفرد، وبخاصة في أعمال ماكس فيبر عن الجماعة والمكانة، واميل دوركايم عن قداسة الثقافة الراقية، وثورشتاين فبلن عن الاستهلاك المظهري، وغاري بيكر عن رأس المال البشري. وقد زادت الدراسات حول عودة الفاعل في نهاية الثمانينيات، وقدمت صورة الفرد الإستراتيجي المدفوع بمصلحته وعقلانيته، مع تركيز علماء الاجتماع على أسس الفعل الأكثر انتشارًا وهي: القيم والمعايير والتمثلات (كابان ودورتيه، ٢٠١٠م: ٢٧٠).

اهتم علماء اجتماع المعرفة بدراسة ظاهرة العلاقة بين المعرفة من خلال التمثلات أو الصور الذهنية والأفكار والوعي وممارستها في الحياة اليومية وبين المكانة الاجتماعية والطبقية للأفراد (رمزي، ١٩٩١م: ١/٥٢)، ووفق نظرية الانعكاسية لغيدنز فإن تمثلات الفاعل ومعارفه تؤثر على سلوكه وممارساته، ومن ثم فإنها تؤثر على الحياة الاجتماعية (كابان ودورتيه، ٢٠١٠م: ٢٧٠).

من المهم أن يُهتم بمعرفة الثقافة بوصفها مصدرًا للمكانة الاجتماعية، إذ تعد المكانة والطبقة والحراك الاجتماعي من الموضوعات المهمة التي يبحث فيها علم اجتماع المعرفة وفق تصنيف روبوت ميرتون (رمزي، ١٩٩١م: ١/١٧)، وسوف يدرس هذا المبحث مسألة الثقافة بوصفها مصدرًا لتحقيق المكانة الاجتماعية من منظور هؤلاء العلماء؛ لأن تراثهم يمثل الأساس الذي استمد منه بورديو نظريته، كما يلي:

إميل دوركايم (١٨٥٨-١٩١٧م): قداسة الثقافة الراقية:

يرى دوركايم أن الثقافة نسق رمزي يستخدمه الإنسان بوصفه أداة معرفية يبني بها واقعه (جمال الدين، ١٩٩٥م: ٣٧)، وقد استفاد بورديو كثيرًا من فكرة أن الثقافة نسق يبني الواقع الاجتماعي، ووصفها في "الهابيتوس"، كما سبق، إلا أن دوركايم يرى أن للثقافة الراقية خاصية مقدسة، حيث تحافظ على قداستها بعيدًا عن الحياة اليومية، وأن الرموز الثقافية المستخدمة بين أعضائها تجسد سلطة الجماعة بطريقة تفرض نفسها على الواقع (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧).

وتكمن أهمية نظرية دوركايم بالنسبة لبورديو في أنه يمثل اتجاه أصحاب فكرة تأثير البنية الاجتماعية على الأفراد، وأن الفرد مسلوب الإرادة أمام قداسة المجتمع، وهو ما يعرف بالاتجاه الموضوعي أو البنية.

ماكس فيبر (١٨٦٤-١٩٢٠م): جماعة المكانة:

كتب فيبر عن جماعة المكانة بتوسع، ووصفهم بأنهم أشخاص مرتبطون ببعضهم بمكانة ثقافية مشتركة، تمثل هويتهم من حيث اتفاق القيم والأذواق والجماليات

وأنماط اللباس واللغة المستخدمة وأساليب الترفيه، وهم يعدونها مصدرًا لتميزهم وفخرهم. ويرى فيبر أنه مهما كانت معايير التميز بسيطة، فإنها يمكن أن تكون قاعدة لتكوين مجموعة مكانة رفيعة (Ritzer، ٢٠٠٥م ١/١٦٧).

ويرى أيضًا أن الثقافة بوصفها نسقًا رمزيًا قد تعد أشكالًا رمزية وأدوات معرفية يستخدمها الإنسان ليبني بها واقعه، فالنسق الثقافي لا يعكس الواقع فحسب، وإنما الثقافة قوة تستخدم لبناء الواقع الاجتماعي (جمال الدين، ١٩٩٥م: ٣٧).

حلل بورديو نظرية المكانة الاجتماعية لدى فيبر وميزها عن نظرية الطبقة الاجتماعية لدى ماركس؛ لأن فيبر "يميز الطبقة الاجتماعية عن (جماعة المكانة) التي تحتل منزلة ما Stand والتي تتحدد بخاصيات رمزية كتلك التي تحدد أسلوب العيش، وهذا التعارض -بين جماعة المكانة والطبقة- يشكل صيغة أخرى، لا تقل وهمًا، للتعارض بين النزعة الموضوعية والنزعة الذاتية، فأسلوب العيش تحديدًا، لا يؤدي دوره ووظيفته في التمييز إلا بالنسبة للأعضاء المؤهلين للاعتراف به، وتظل نظرية فيبر حول المجموعة التي تحتل مكانة ما شديدة الاقتراب من كل النظريات الذاتية عن الطبقات، تلك الطبقات التي تدخل أسلوب العيش والتمثلات الذاتية في تشكيل التقسيمات الاجتماعية" (بورديو، ١٩٨٦م: ٤٥)

تكمن أهمية نظرية فيبر بالنسبة لبورديو في أنها تمثل اتجاه النزعة الفردية أو الذاتية، الذي يعطي أهمية كبرى للفعل، وترى أن الأفراد هم الذين يصنعون المجتمع بقيمه وعاداته، ومن ثم فهم قادرون على تعديله كل مرة.

ثورشتاين فبلن (١٨٥٧-١٩٢٩م): الاستهلاك المظهري:

يعني فبلن بمصطلح الاستهلاك المظهري انغماس طبقة الأعيان والصفوة في التعبير الدائم عن مكانتهم من خلال التباهي بالثروة وتبذير السلع واستخدام المنتجعات للترفيه وشراء الملابس الثمينة وكل ما يمكن أن يدل على ثراء صاحبها وعلو مكانته الاجتماعية والاقتصادية، وكذلك استخدام النساء بوصفهن رمزًا من رموز الثراء والتباهي، ويكون هذا السلوك أسلوبًا خاصًا سماه فبلن بالرفاهية المظهرية (سكوت ومارشال، ٢٠١١م: ٢/٣٢٠).

غاري بيكر Gary Becker (١٩٣٠-٢٠١٤م): رأس المال البشري:

يتضمن رأس المال البشري المهارات والمعلومات التي تساعد الفرد على الترقي الاجتماعي، وزيادة فرصه في سوق العمل، كما أن رأس المال البشري إنتاجي بشكل مباشر، في حين أن رأس المال الثقافي ينشط من خلال التفاعلات الاجتماعية غير الرسمية، ونادرًا ما يكون إنتاجيًا من الناحية الاقتصادية، أما نقاط التقاء رأس المال البشري برأس المال الثقافي، فتكمن في المهن الجماهيرية التي تتطلب من الأفراد كسب ثقة العملاء المميزين، مثل التمويل المالي والمبيعات والبنوك (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧). ويرى بيكر أيضًا أن الموارد غير المادية تسهم في تحقيق المكانة الاجتماعية (Ritzer، ٢٠٠٥م: ١/١٦٧).

وتكمن أهم اختلافات مفهوم رأس المال الثقافي عن رأس المال البشري وفق مفهوم جاري بيكر في أن بورديو

يركز على الاختلاف المبني على أساس طبقي في كل المعاني والأنماط المختلفة من رأس المال، كما أنه يعطي اهتمامًا أكبر للأبعاد الدقيقة من التنشئة الاجتماعية والتحول الثقافي (سوارتز، ٢٠١٥م: ١١٦).

خامسًا: الخاتمة:

حللت هذه الدراسة نظرية رأس المال الثقافي لبورديو من حيث تعريفه، وأنواعه، وكيفية تشكيله لدى الأفراد، ثم علاقته بتحقيق المكانة الاجتماعية والاقتصادية، ثم عرض نتائج دراسات بورديو الميدانية بشأن الصراع بين طبقتي البرجوازية الاقتصادية والبرجوازية الثقافية ليدلل على قدرة رأس المال الثقافي على منافسة رأس المال الاقتصادي في مجال الصراع على السيطرة الثقافية كما هو حال الصراع على السيطرة الاقتصادية، وتكمن أهميتها في توظيفها بتحليل ممارسة الثقافة الموروثة والمكتسبة لدى الطالب الجامعي بوصفها جماليات أم ماديات. كما حلل المصادر الفكرية التي استقى منها بورديو نظريته.

يلحظ من صراع الطبقات على تحقيق المكانة الاجتماعية، كيف أن الثقافة تملك مقومات وخصائص المادة بوصفها مصدرًا لتحقيق المكانة الاجتماعية والاقتصادية، مع توافر جميع الشروط الكافية لاعتراف المجتمع بها، وأن استخدام الهابيتوس هو الميكانيزم المحرك للرساميل، وهو الوسيلة الشرعية لفرض التمايز في الحقل المتنازع داخله، وبما أن الجامعة تعد حقلًا يشهد تمايزًا، فإن الطالب الجامعي يعد العنصر الأساس ومحور الارتكاز فيه بوصفه أساس العملية التعليمية الذي أنشئت من أجله الجامعة واستقطب الأساتذة وصممت المناهج الدراسية والنشاطات اللاصفية، ومن ثم فإن الطالب سوف يدخل الجامعة التي يريدها والتخصص الذي يرغبه، ويعرف أنه سوف يتعرض لعملية تعليم جامعي بمواصفات عالية وشروط واضحة.

المصادر والمراجع

- أبو دوح، خالد كاظم. رأس المال الاجتماعي -ط١- القاهرة: إيتراك للطباعة والنشر والتوزيع، ٢٠١٤م.
- انغليزوهيوسون، ديفيد إنغليز وجون هيوسون. مدخل إلى سوسيولوجيا الثقافة؛ ترجمة لما نصير -ط١- الدوحة: المركز العربي للأبحاث ودراسة السياسات، ٢٠١٣م.
- بزاز، عبدالكريم. علم اجتماع بيار بورديو، رسالة دكتوراة العلوم بقسم علم الاجتماع والديموغرافيا بكلية العلوم الإنسانية والاجتماعية بجامعة منتوري قسنطينة -الجزائر، ٢٠٠٤م.
- بورديو، بيير. أسباب عملية؛ تعريب أنور مغيث -ط١- ليبيا: الدار الجماهيرية للنشر، ١٤٢٥هـ.

- بورديو، بيير. **أسباب علمية: إعادة النظر بالفلسفة؛** تعريب أنور مغيث ٠- ط١ ٠- بيروت: دار الأزمنة الحديثة، ١٩٩٨م.
- بورديو، بيير. **الرأسمال الرمزي والطبقات الاجتماعية** . عبدالسلام بن عبدالعالي، ضمن مجلة الفكر العربي المعاصر، ص٤٦-٤٩ العدد ٤١ ٠- بيروت: مركز الإنماء القومي، ١٩٨٦م.
- بورديو، بيير. **مسائل في علم الاجتماع؛** ترجمة هناء صبحي ٠- ط١ ٠- أبو ظبي: كلمة، ٢٠١٢م.
- بورديو، بيير. **قواعد الفن؛** ترجمة إبراهيم فتحي ٠- القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، ٢٠١٢م.
- بورديووفاكونت، بيير بورديو وج. د. فاكونت. **أسئلة علم الاجتماع: في علم الاجتماع الانعكاسي؛** ترجمة عبدالجليل الكور ٠- ط١ ٠- المغرب: دار توبقال للنشر، ١٩٩٨م.
- جمال الدين، دينا إبراهيم أحمد. **دور التعليم العالي في التمايز الاجتماعي في مصر،** أطروحة ماجستير في التربية ٠- مصر: كلية التربية، جامعة عين شمس (غير منشورة)، ١٩٩٥م.
- رمزي، نبيل. **علم اجتماع المعرفة** ٠- ط١ ٠- الإسكندرية: دار الفكر الجامعي، ١٩٩١م.
- زايد، أحمد. **الجديد في نظرية الثقافة: المفهوم والاتجاهات والمناهج،** ضمن كتاب مدخل التحليل الثقافي لدراسة الظواهر السياسية والاجتماعية؛ إشراف علمي وتقديم نادية محمود مصطفى ٠- مصر: جامعة القاهرة، مركز الدراسات وحوار الثقافات، ٢٠١١م، ص٢٣-٧٠.
- سالم، علي. **البناء على بيير بورديو: سوسيولوجيا الحقل السياسي** ٠- ط١ ٠- بيروت: دار النظال، ١٩٩٩م.
- ستيفنسون، نيك . **المواطنة الثقافية: قضايا النزعة الاستهلاكية والاستهلاك والسياسة،** ضمن تيم إدواردز، النظرية الثقافية: وجهات نظر كلاسيكية ومعاصرة؛ ترجمة محمود أحمد عبدالله ٠- ط١ ٠- القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١٢م.
- سكوت ومارشال، جون سكوت وجوردون مارشال . **موسوعة علم الاجتماع؛** ترجمة محمد الجوهري وآخرين ٠- ط٢ ٠- القاهرة: المركز القومي للترجمة، ٢٠١١م.
- سوارتز، ديفيد. **الثقافة والقوة: علم اجتماع بيير بورديو؛** ترجمة محمد عبدالكريم الحوراني ٠- ط١ ٠- عمّان: مجدلاوي النشر والتوزيع، ٢٠١٥م.
- عماد، عبدالغني . **سوسيولوجيا الثقافة: المفاهيم والإشكاليات من الحداثة إلى العولمة** ٠- ط١ ٠- بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، ٢٠٠٦م.
- غدنز، أنتوني. **علم الاجتماع؛** ترجمة فايز الصيّاغ ٠- ط١ ٠- بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥م .
- كابان ودورتيه، فيليب كابان وفرانسوا دورتيه. **علم الاجتماع المعاصر: من النظريات الكبرى إلى الشئون اليومية؛** ترجمة إياس حسن ٠- ط١ ٠- دمشق: دار الفرقد، ٢٠١٠م .
- كولماس، فلوريال . **اللغة والاقتصاد؛** ترجمة أحمد عوض ٠- الكويت: عالم المعرفة، ٢٠٠٠م.
- لوسركل، جان جاك. **عنف اللغة؛** ترجمة محمد بدوي ٠- ط١ ٠- بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٥م.
- ليشته، جون. **خمسون مفكرًا أساسيًا معاصرًا من البنيوية إلى ما بعد الحداثة؛** ترجمة فاتن البستاني ٠- ط١ ٠- بيروت: المنظمة العربية للترجمة، ٢٠٠٨م.
- Ritzer (2005) George, Encyclopedia of Social Theory
- (Jarger, 2010) Boels Cultural Capital Really Affect Academie
- Swidler and Arditi (1994), Ann Swidler and Jorge Arditi. The New Sociology of Lnowledge, Annu. Rev. Sociol. 1994, pp. 305-329

عالم الكتب

ص.ب ٢٩٧٩٩ الرياض ١١٤٦٧ – هاتف ٤٧٧٧٢٦٩ – ناسوخ ٤٧٦٣٤٣٨

٤٩٠ تقاطع شارع الفرزدق مع شارع أبي إمامة الحارثي المتفرع من طريق الملك عبدالعزيز